الهروب إلى الأمام لن يجنب أحداً خسارة أكيدة

تشكل الحرب التي تشنها إسرائيل اليوم على لبنان حلقة جديدة من حرب إعادة السيطرة على الشرق الأوسط التي تدور رحاها منذ حرب العراق في ١٩٩١. وكما سعى حزب الله من خلال خطف الجنديين إلى استعادة زمام المبادرة السياسية من قبل دمشق وطهران في هذا الصراع الطويل، تسعى الحرب الاسرائيلية الشاملة على لبنان بالمثل إلى استعادة الأنفاس، واستكمال الحرب الأمريكية العراقية التي لم تنجح في حسم الأمور لصالح القوى الغربية، وتحقيق مشروع هيكلة المنطقة الشرق أوسطية على قاعدة الحفاظ على المصالح الاستراتيجية الأمريكية الاسرائيلية بالدرجة الأولى. وهذا يعني أنه في الوقت الذي كان خطف الجنديين يمثل جزءا من "اللعبة" السياسية المقبولة حتى الآن، وهو ما طمأن حزب الله على محدودية المخاطر، أرادت واشنطن وتل أبيب من حربهما الجديدة أن تغيرا بالضبط من قواعد اللعبة التي اعتقد السوريون، وحلفاؤهم في طهران ولبنان معا، بسبب تغريز القوات الامريكية في العراق، أن في إمكانهم فرضها، وما تعنية من تأكيد عجز المعسكر الغربي عن فرض نظام معاد لدمشق او مستقل عنها في بيروت، وضمان استقرار النظام السوري، وفرض ايران حقها في الحصول على التقنية النووية، التي تريد الولايات المتحدة أن تجعل منها تقنية محظورة على غير إسرائيل في المنطقة الشرق أوسطية.

من هنا ليس هناك أي سبب للاعتقاد بأن الحرب الراهنة مهيأة لوضع أوزارها قريبا، أو أن من الممكن أن تتوقف في محيط لبنان، أو تكتفي بتحجيم حزب الله أو القضاء عليه. إن هدفها الرئيسي هو بالضرورة سورية التي تشكل حلقة الوصل، والحلقة الضعيفة معا، في محور ثلاثي يجمع بين طهران ودمشق وحزب الله. فضرب النظام السوري هو وحده الذي يهدم هذا المحور الجديد الذي تكون لغايات مختلفة، لكن في مواجهة عدو مشترك. وهذه الأهداف الاستراتيجية البعيدة للحرب هي التي تجعل من إمكانية التوصل إلى تسوية سياسية أمرا بعيد الاحتمال، قبل أن تحقق المعارك الراهنة حسما يبدو لي أن إسرائيل، وبشكل خاص الولايات المتحدة، مستعدة اليوم أكثر من أي فترة أخرى لدفع ثمنه في سبيل انقاذ رهاناتها الكبيرة المهددة في العراق والشرق الأوسط بأكمله. وهذا يعني أن الولايات المتحدة وإسرائيل تنظران إلى هذه المعركة بوصفها معركة مصيرية. وهي ستكون للسبب ذاته، وبالضرورة، مصيريه أيضا بالنسبة للأطراف الإقليمية المشاركة فيها، وفي مقدمها المقاومة اللبنانية الاسلامية التي يشكل القضاء عليها حلقة أساسية في تحطيم محور دمشق طهران ومن ورائة تطويع النظام البعثي وحرمان ايران من الحصول على التقنية النووية المنشودة.

ومن الواضح أن حزب الله يدفع اليوم ثمن تحالفه مع عواصم هذا المحور، ويشكل الهدف الاول في حرب شاملة تتجاوزه بكثير.

د. برهان غليون *

ومن هنا لم يعد للحديث في صواب ما قام به حزب الله، من حيث التوقيت أو مشروعية استخدام المقاومة القومية والوطنية لأهداف السياسة الداخلية، قيمة كبيرة. فالمهم اليوم هو الحيلولة بكل الوسائل دون السماح للولايات المتحدة وإسرائيل بربح هذه الحرب، سياسيا إن كان ذلك غير ممكن عسكريا، خاصة إذا استمرت المقاومة اللبنانية تخوض المعركة لوحدها.

ولعل هذا ما أدركه الرأي العام العربي عندما نزل إلى شوراع المدن العربية ليعبر عن دعمه وتأييده للمقاتلين العرب في وجه الخطة الاسرائيلية الأمريكية. فقد أدرك الجمهور العربي بسرعة، أنه لا مجال هناك للاختيار. فالوقوف إلى جانب المقاومة وفضح الحرب الاجرامية الاسرائيلية الأمريكية ودعم جميع الجهود الرامية إلى وقف العدوان هو الموقف الوحيد الذي يضمن حرمان تل أبيب وواشنطن من تسجيل نصر جديد لا يمكن إلا أن يترجم إلى تراجع جديد في المواقع العربية.

ومهما كانت الذريعة التي أطلقت شرارة هذه الحرب، التي اتخذت من لبنان مسرحها اليوم، قبل ان تنتقل غدا على مسارح أخرى، يظل المسؤول الرئيسي عما حصل ويحصل اليوم، وسيحصل في المستقبل، من كوارث على الشعوب والمجتمعات والبلدان، هو الوضع غير المقبول وغير المعقول الذي خلقه التوسع الاسرائيلي في فلسطين ولبنان وسورية معا، أي رفض الاسرائيليين والأمريكيين من ورائهم، القبول بأي حل سياسي يعيد الحد الأدنى من الحقوق إلى الشعوب المنكوبة، ويخرج المنطقة من الطريق المسدود الذي أدخلها فيه منطق الغلبة العسكرية وكسر الإرادة وإنكار الحق والسيطرة بالقوة، كما تبرهن على ذلك الأوضاع على جميع الجبهات بالتساوي، الفلسطينية واللبنانية والسورية والعراقية والايرانية. فجوهر الموضوع وأصل الخطأ هو هذه السياسة بالذات، أي أهدافها ووسائلها وتكاليفها المدمرة بالنسبة لشعوب الشرق جميعا. ولا ينبع التأييد الساحق الذي تحظى به أعمال المقاومة اليوم من الاعتقاد بما يمكن أن تحققه هذه الأعمال من انتصارات، بقدر ما ينبع من إرادة التأكيد على رفض الخضوع والاستسلام لهذه السياسة بالذات.

ولذلك، لا ينبغي لنا أن نكف عن ترداد أن القضاء على المقاومة اللبنانية أو تطويع النظامين السوري والايراني لن يشكلا أي مخرج من الأزمة التاريخية التي نعيشها منذ عقود، والتي تسعى الحروب المدمرة الاسرائيلية والأمريكية إلى تجنب مواجهتها. فلن يمكن انهاء الصراع، مهما كانت نتائج الحرب الراهنة، مادامت فلسطين والجولان ومزارع شبعا محتلة، وسياسة الهيمنة والسيطرة ورفض الاعتراف بحق تقرير الشعوب العربية هي السياسة الوحيدة المنظورة من قبل العواصم الأمريكية والاسرائيلية والأوروبية. فمن دون العودة إلى مبادىء السياسة الدولية، وايجاد الحلول العادلة والمقبولة لمسائل الاستيطان والاحتلال والسيطرة الخارجية الاستعمارية أو شبه الاستعمارية، وإنهاء فكرة تغييب الشعوب عن حقوقها ومصالحها الوطنية، لن تكون نتيجة الاستخدام المفرط للعنف سوى تفجير عنف مقابل لا يقل عنه عماء وتعصبا واستهتارا بالقيم والمبادىء الأخلاقية والانسانية. وليس هناك أي ضمانة أن لا يسفر القضاء على حزب ا لله عن ظهور حركات أكثر تشددا، تماما كما أسفرت هزيمة القوى القومية والوطنية في العقود الماضية عن نشوء الحركات الاسلامية المتطرفة والأكثر تطرفا. إن الاستمرار في بث الدمار والرعب والموت في الشرق العربي يعكس إخفاق السياسات الأمريكية الإسرائيلة وعجزها عن تحقيق أي إنجاز سياسي ونزعتها الدائمة إلى الهرب إلى الأمام والمراهنة المتزايدة على العنف والقتل. ولا يمكن لمثل هذا الهرب، الذي يشكل بديلا عن البحث عن حلول حقيقية وقانونية وعادلة للنزاعات والمشاكل القائمة، إلا أن يقود المنطقة برمتها إلى الانزلاق نحو البربرية. فبقدر ما تسعى واشنطن وإسرائيل في مسعاهما لإعادة بناء النظام شبه الاستعماري المتهاوي في الشرق الأوسط على أنقاض الأمة العربية ومطامح العرب وآمالهم، إلى المغالاة في العنف والإفراط في استخدامه كما هو واضح الآن، فإن الدمار النابع منه لا يمكن أن يؤسس لأي خيار آخر في المجتمعات المدمرة سوى العنف والمقاومة. ومهما بدا الجمهور العربي ساكنا اليوم، ستأتي لحظة لا تعود فيها المقاومة بالنسبة للرأي العام العربي خيارا سياسيا بين خيارات، وإنما رد الفعل العفوي والطبيعي على إغلاق كل طرق التقدم والرفاهية والديمقراطية والاستقرار أمام الشعوب. إن القول بأن العنف الاستعماري هو المؤسس للعنف في المجتمعات الخاضعة لم يكن أكثر صدقا في أي منطقة من العالم مما هو عليه في منطقتنا اليوم.

الحرب على لبنان

امتحان "الصفر" أو "العشرين"!

إسرائيل لاتستجيب لأي نداء لوقف إطلاق النار. ومجلس الأمن يخفق في الوصول إلى قرار كهذا، وفي اتخاذ قرار يدين اسرائيل بقصف قواتها لمقرات قوات الطوارئ الدولية العاملة في جنوب لبنان والتابعة للأمم المتحدة وقتل أربعة عسكريين بينهم ضابط. نعم، إسرائيل تقتل اللبنانيين فلا تدان في الأمم المتحدة رسمياً لكنها مدانة بالإجماع في لبنان. وفي كل دول العالم تقريباً. وإسرائيل تقتل الفلسطينيين فلا تدان في الأمم المتحدة، لكنها مدانة بالإجماع في فلسطين وفي كل دول العالم تقريباً. لكن، إسرائيل تقتل عناصر من قوات الأمم المتحدة، فتدان في كل دول العالم تقريباً أيضاً لكنها لا تدان في المنظمة الدولية التي وقع الاعتداء عليها!

السبب في كل ذلك واحد: موقف الولايات المتحدة الأميركية الراعي والحامي والداعم بشكل مطلق لإسرائيل. وهذا الموقف الثابت هو أحد أبرز أسباب العنف والتوتر في المنطقة والعالم وأحد أبرز عناصر نمو "الإرهاب" إذا استخدمت المصطلح الأميركي، وتدمير الحريات والديمقراطية في كل مكان وهي العنوان الكلاسيكي للسياسة الأميركية في العالم وخصوصاً في منطقتنا.

غازي العريضي *

لماذا إذاً يوقف ايهود أولمرت حربه ضد لبنان ما دام يحظى بهذا الدعم الأميركي الذي فرض نفسه بطريقة أو بأخرى على العالم؟ ففي قمة الثماني في سان بطرسبرغ صدر موقف يعطي لإسرائيل حق الدفاع عن نفسها ووضع رزنامة تلائم الموقف الاسرائيلي إنْ لجهة الأولويات أو لجهة المضمون. وذلك بعد أن كان عدد من الدول المشاركة في القمة قد أعلن قبل انعقادها أن الحرب غير متكافئة وغير متوازنة وأن على اسرائيل أن توقف اطلاق النار وتدمير البنى التحتية واستهداف المدنيين في لبنان.

وفي الزيارات المكوكية التي قامت بها وفود رسمية من الأمم المتحدة أو لممثلي عدد من الدول الكبرى إلى المنطقة وخصوصاً زيارة كوندوليزا رايس وزيرة الخارجية الأميركية كان الموقف الاسرائيلي واحداً: لا وقف لاطلاق النار. ووعد بعض الوفود المسؤولين اللبنانيين أثناء اللقاء بهم في بيروت بالعودة من تل أبيب إلى العاصمة اللبنانية لاستكمال المشاورات، لكن هؤلاء غادروا إسرائيل على وجه السرعة لأن كل الأبواب سدّت في وجوههم هناك. منذ بداية الحرب قلت: إنه امتحان "الصفر" أو "العشرين". ليس ثمة حل وسط. ولن يكون ثمة علامات استلحاق لأي طرف من الطرفين وفي الواقع بدأنا نعيش هذه الحالة التي تحكم كل المشاورات الجارية لتحقيق اختراق ما أو لوقف اطلاق نار شامل وفوري. فنائب رئيس الحكومة الإسرائيلية شيمون بيريز قال: "هذه الحرب بالنسبة إلى إسرائيل هي حياة أو موت". وايهود أولمرت أبلغ معظم الموفدين الدوليين الذين التقاهم أنه:- ليس مستعجلاً لإطلاق سراح الأسيرين الإسرائيليين (ورايس لم تأت على ذكرهما في لبنان إلا في نهاية محادثاتها مع أحد المسؤولين). وإنه لن يوقف الحرب إلا بعد تكسير "حزب الله" ويستند في ذلك إلى:

أ- أن كل استطلاعات الرأي الأخيرة أكدت أن ٧٩ ٪ من الشعب الإسرائيلي تؤيد العدوان، مما يعني أن ٩٧ ٪ من اليهود معه لأن الآخرين هم من العرب وقلة قليلة لا تؤثر في شيء داخل الصف اليهودي.

ب- إن ١٥ ٪ من السكان في الملاجئ والمصانع في بعض المناطق المحتلة. وحالة القلق قائمة، وبالتالي، هؤلاء لا يقبلون أي حل يمكن من خلاله العودة إلى احتمال تجدد قصفهم، لذلك لا بد من استئصال هذه الحالة وإبعاد خطرها عنهم.

ج- إن أميركا تغطي عملنا بشكل كامل. وليس ثمة ضغط علينا من المجتمع الدولي. ولو صدرت بعض المواقف فالجميع يقول إن لإسرائيل حق الدفاع عن نفسها والكل يشاهد كيف تتعرض بلادنا للاعتداءات الإرهابية!

هذا الكلام أنقله بحرفيته تقريباً كما سمعه عدد من المسؤولين الدوليين من أولمرت نفسه. وهو يعني فعلاً أن العملية بالنسبة إليه وإلى شعبه امتحان "الصفر" أو "العشرين" وبالتالي سيذهب فيها إلى النهاية. وقد قيل هذا الكلام قبل مؤتمر روما. كان واضحاً فيه أن أميركا لا تريد وقفاً لاطلاق النار وقد أفشلت ذلك بوضوح.

وبالنسبة إلى "حزب الله" فإنها معركة المصير. فإما أن يخرج منتصراً وهذا يعني الكثير من النتائج على الساحة اللبنانية، وإما أن يخرج منكسراً وهذا يعني نتائج معاكسة تماماً مع تداعيات وارتدادات خطيرة جداً في الداخل، وإما أن يستنزف العدو ويلحق به خسائر كبرى وتتوقف الأمور عند حدود معينة، وهو حتى الآن يمسك بزمام المبادرة والمقاومة شرسة بطولية، ورجالها يفاجئون الإسرائيليين بصمودهم وتضحياتهم وخبراتهم واستعداداتهم وكفاءاتهم القتالية العالية وروح التحدي وإيمانهم الكبير بقضيتهم. ولا شيء يمكن أن يوقف العدوان إلا هزيمة ساحقة للمقاومة. أو ضربات موجعة للجيش الإسرائيلي تفرض عليه تراجعات كثيرة سياسياً وميدانياً. ويجب ألا ننسى، أنه، سواء دعيت سوريا وإيران إلى مؤتمر روما أم لا، وسواء كان حوار معهما أم لا، فهما دولتان تقفان وراء "حزب الله". وهزيمته هزيمة لهما وبالنسبة الى سوريا المسألة مصيرية أيضاً، وهي تحاول بكل الامكانات عدم السماح بذلك وإذا حصل ذلك ستحاول خلق وقائع جديدة في لبنان لأن وضعها سيكون مهدداً ومكشوفاً بالكامل. وكذلك، فإن إيران ستخسر ورقة مهمة ومتقدمة في مواجهة أميركا وإسرائيل. وفي غضون ذلك يستمر العدوان. ويدفع لبنان وشعبه الثمن، وليس ثمة آفاق لحلول قريبة. كل المؤشرات تقول: الحرب طويلة، تسندها الوقائع المذكورة سابقاً. وقد شعر كثيرون بالإحباط من عدم توصل مؤتمر روما الى قرار لوقف النار بسبب "الفيتو" الأميركي. وإن المشاركين فيه لم يكونوا يتوقعون هذا القرار. ولكن الناس الذين يريدون الخروج من هذه الدوامة ، لم يعرفوا ماذا يدور في كواليس السياسة. والكارثة التي يعيشونها لا توصف. بل أقول إن كل ما شاهده العالم على شاشات التلفزة هو جانب من الكارثة الحقيقية حتى الآن وليس كلها. نعم، الدمار والخراب على الأرض أكبر مما هو عليه في الشاشات. وإعادة الإعمار تحتاج إلى وقت طويل. والعام الدراسي مهدد لأن معظم المدارس مأهولة من قبل النازحين، وضياع كامل في صفوف اللبنانيين على هذا الصعيد. مع احتقانات خطيرة في نفوسهم ولا أمل.

* وزير الاعلام اللبناني

عملية حزب الله .. هل كانت مغامرة ؟

يشير مفهوم 'المغامرة' في الأدبيات العسكرية إلي أمرين: أولهما لجوء الطرف المغامر 'بكسر الميم' إلي القيام بعمل 'ما' باعتباره أخر الخيارات الممكنة في مواجهة 'الخصم'. وثانيهما، عدم قدرة الطرف المغامر علي توقع ردود فعل الخصم، وبالتالي ضعف قدرته علي التعاطي معها.

وبالإسقاط علي العملية الأخيرة التي قام بها حزب الله، وأفضت إلي ما هو قائم الآن، لا تبدو وكأنها نوعاً من المغامرة ((غير المحسوبة)) كما وصفها البعض، فالحزب لم يقم بعمليته بوصفها خياراً وحيداً في العلاقة مع إسرائيل، بل لديه خيارات أخري ليس أقلها المناوشات العسكرية التي تتعرض لها الدوريات الإسرائيلية علي الحدود بين لبنان وإسرائيل.

فضلاً عن ذلك فقد قام حزب الله بعمليته وهو يدرك جيداً طبيعة الإمكانات العسكرية واللوجيستية والاستخباراتية التي تمتلكها إسرائيل، كما يدرك أيضا مدي الاستخفاف الإسرائيلي بردود الأفعال العربية والدولية وانعدام قدرة أي طرف علي إبطال مفعول آلتها الحربية.

عملية) الوعد الصادق) حسبما أطلق عليها حزب الله، حملت رسائل عديدة للداخل اللبناني أولا، ثم الخارج العربي والدولي ثانياً. ولكن السؤال المهم: هل حققت هذه الرسائل أهدافها؟ في الأمد القصير يصعب الاعتقاد بحدوث ذلك، ذلك أن ما يجري الآن علي الأرض اللبنانية لا يوحي بإمكانية التعرف علي ملامح الموقف الداخلي من حزب الله، وهو الذي استهدف بعمليته الأخيرة إسكات العديد من الأصوات، خصوصاً في جبهة الأكثرية النيابية بزعامة سعد الحريري ووليد جنبلاط، التي تطالب بنزع سلاح الحزب، وهي المسألة التي نالت قسطاً وفيراً من الجدل داخل جلسات الحوار الوطني اللبناني التي امتدت طيلة الشهور الثلاث الماضية. بيد أنه من المؤكد، بعد أن تضع الحرب الدائرة أوزارها، أن يصبح سلاح الحزب المهمة العاجلة أمام الفضاء العام اللبناني لتحديد موقف واضح منه.

انشطار عربي ثان

أما علي المستوي الخارجي، فقد فاقت الردود علي عملية حزب الله خيال الكثيرين، وبدت كما لو كانت عملية حربية استهدف الدولة العبرية، فعلي المستوي العربي بدت العملية وكأنها استحضار لذكريات الانشطار العربي الذي وقع عام ١٩٩٠ بفعل الغزو العراقي للكويت، حيث انقسم الموقف العربي بشقيه الرسمي والنخبوي إلي اتجاهين مختلفين:

الأول يري فيما أقدم عليه حزب الله نوعاً من الانتحار الذاتي، ذلك أنه جاء بمبادرة من الحزب وليس رداً علي هجوم إسرائيلي مباشر علي الأراضي اللبنانية، وهو ما يعني، بالنسبة لأصحاب هذا الرأي، إطلاق يد إسرائيل كي ترد علي كيفما تشاء علي غرار ما حدث طيلة الأيام الماضية.

أي أن الحزب، وفقاً لهذا الرأي، أعطي سكيناً لإسرائيل، ومن خلفها المجتمع الدولي، كي تذبحه بها، وذلك حين قام بعمليته النوعية ضد القوات الإسرائيلية علي الحدود مع لبنان، ومحصلة ذلك إدخال المنطقة في حالة من الفوضي، هي في غني عنها، هكذا يري أنصار هذا الاتجاه.

أما الاتجاه الثاني، فهو الذي يري في عملية حزب الله إحياء لروح المقاومة في الجسد العربي الهزيل، ومحاولة لمساعدة الفلسطينيين في مأزقهم مع إسرائيل، وتخفيف الضغط المتواصل عنهم عبر فتح جبهة جديدة ضد إسرائيل.

ويبني أنصار هذا الرأي حججهم علي أن عملية حزب الله لن تعطل مسيرة المفاوضات مع إسرائيل، التي هي متوقفة، إن لم تكن ميتة أصلاً. وبالتالي فلا ضير في إرهاق إسرائيل وتفنيد مفاهيمها الكاذبة بشأن الأمن والتفوق العسكري. ويبرر أصحاب هذا الرأي موقفهم بالموقف العربي الضعيف في مواجهة الصلف الإسرائيلي ضد الفلسطينيين، وكأن عملية حزب الله قد نكأت بعضاً من الجراح العربية والفلسطينية الغائرة.

وبغض النظر عن هذا الرأي أو ذاك، تبقي الوقائع علي الأرض هي خير دليل علي مدي صواب عملية حزب الله من عدمه، وهذه الوقائع تشير إلي ما يلي:

هناك جمود تام لعملية السلام في المنطقة، وهي التي أجهضت علي أيدي رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إرئيل شارون.

هناك شعب يتعرض للإبادة علي أيدي الإسرائيليين هو الشعب الفلسطيني.

هناك استخفاف إسرائيلي تام بأي موقف عربي تجاه ما يتعرض له الفلسطينيون.

هناك استخفاف إسرائيلي تام بأي مقاومة عربية أو فلسطينية يمكنها إثناء إسرائيل عن مخططاتها للحل المنفرد ضد إرادة الفلسطينيين.

هناك مجتمع دولي لا يكترث لمعاناة شعب بأكمله في حين ينتفض لأسر ثلاثة جنود إسرائيليين.

خليل العناني

في ظل كل هذه الوقائع، لم يكن من سبيل أمام حزب الله، ووفق تركيبته العقائدية وحساباته السياسية، سوي التصرف علي نحو ما فعل. فضلاً عن ذلك فقد أعادت عملية حزب الله الصراع العربي - الإسرائيلي إلي مفاصله الأولي الرئيسية، فقد أعلن رسمياً وفاة عملية السلام، وجاء خرج الاعتراف العربي بذلك، من قلب الجامعة العربية وعلي لسان أمينها العام السيد عمرو موسي الذي 'نعاها' في اجتماع وزراء الخارجية العرب الذي عقد في القاهرة عشة الهجوم الإسرائيلي علي لبنان.

ومنذ بدء الحرب الإسرائيلية علي لبنان، وسيل منهمر من الأسئلة يتدفق، منها ما هو مزعج ومقلق، ومنها ما هو مؤجل ويتم الهروب منه، فماذا لو أقدمت إسرائيل علي احتلال لبنان من جديد؟ وماذا سيكون عليه الموقف العربي إذا ما ضُربت دمشق؟ وكيف ينظر النظام العربي إلي ترسانة الأسلحة الإسرائيلية بشقيها التقليدي والنووي؟ وما هي طبيعة التوازن العسكري بين العرب وإسرائيل في ظل الوضع الجديد؟

أسئلة كثيرة يُعاد طرحها الآن، ويصب جميعها في معني واحد وهو أن الصراع مع إسرائيل لم ينته بعد، وأن التهدئة التي سعت إليها إسرائيل تحت غطاء أوسلو، لم تكن سوي عملية تخدير للعقل العربي، الذي ظن أن بالإمكان التعايش مع إسرائيل باعتبارها 'دولة طبيعية'.

وبغض النظر عن الموقف من عملية حزب الله، ومدي صوابها من عدمه، فقد فجرت ينبوعاً من الأسئلة، كانت في طي النسيان، حول طبيعة العلاقات العربية - الإسرائيلية، وأعادت إلي الطاولة بديهيات كثيرة كادت أن تطمر بفعل عمليات غسيل الدماغ Brainwashing التي قامت بها إسرائيل للعالم العربي طيلة سنوات أوسلو الماضية.

ما يحدث الآن، يفرض ضرورة الخروج من أسر النظرة الضيقة التي تختزل الصراع بوصفها صراعاً بين طرفين هما إسرائيل وحزب الله، إلي رؤية الصورة الأشمل والأعم للمنطقة. فالمقصود من الحرب الآنية علي لبنان، كما تؤكدها النتائج علي الأرض، ليس هو حزب الله، وليس لبنان بحد ذاته، وإنما هو بالأساس إعادة صياغة النظام الإقليمي في الشرق الأوسط، بحيث تفضي إلي 'حذف' حزب الله، ومن يقف خلفه، من معادلاته، وذلك تمهيداً لمباركة القيادة الإسرائيلية للمنطقة، وإبطال مفعول أي مصدر قد يهدد الأمن الوطني للدولة العبرية، وهو ما من جهة أخري فرض 'المسار 'السياسي'، كخيار وحيد، لتسوية أي نزاعات قائمه معها.

القضية، بالطبع، ليست في علاقة حزب الله بإيران، فهذه حقيقة يعلمها الجميع منذ أمد بعيد، بقدر ما هي في الأسباب التي أوصلت حزب الله ودفعته إلي الارتماء في 'حضن' طهران. لذا فبدلاً من التساؤل حول الدعم الإيراني لحزب الله، يجب التساؤل قبلاً: ولماذا وقع حزب الله أسيراً لإرادة طهران؟ ولماذا لم يحاول البعض أن يخلصه منها قبل سنوات.

لا غرو إذا في القول بأن الموقف العربي الراهن من حزب الله، كفيلاً بإبقاءه تحت 'اليد' الإيرانية وزيادة قبضتها عليه، ومضاعفة قناعة الحزب وقيادته بأن الضامن الوحيد لهم في أي مواجهة مع إسرائيل هو إيران.

انكشاف دولي جديد

علي الصعيد الدولي، حملت عملية حزب الله رسائل عديدة، ليس أقلها التأكيد علي أن الفلسطينيين لا يقفون وحدهم في مواجهة إسرائيل، وأن هناك من يدعمهم، ومن بيده توريط إسرائيل في مستنقع خارج حدودها. كما أنها انطوت علي محاولة لخلط الأوراق الإقليمية أمام الطرفين الأمريكي والإسرائيلي بهدف تخفيف الضغط الذي يمارسه كلا الطرفين علي بعض الدول العربية مثل سوريا والعراق. في نفس الوقت سعي حزب الله لإبراز قدرة 'محور الممانعة' المتمثل فيه بالإضافة إلي دمشق وطهران علي تعطيل الخطط الإسرائيلية والأمريكية التي تستهدف ابتلاع المنطقة وتطويعها حسب مصالحها.

بيد أن الأهم من هذا كله، هو توجيه رسالة قوية للغرب بشكل عام، وللولايات المتحدة بوجه خاص بأن القضية المركزية في منطقة الشرق الأوسط ستظل هي القضية الفلسطينية، وأن أي محاولة لطمس معالم القضية، علي غرار ما تفعله إسرائيل، وتعينها عليه الأطراف الغربية، لن تجدي نفعاً، وستعود بالضرر علي إسرائيل ذاتها. أي إعادة جميع الأطراف إلي المربع الأول فيما يخص الصراع في الشرق الأوسط.

ويشي الموقف الدولي من الحرب علي لبنان، وهو الذي بدا مؤيداً بشكل غير مباشر لما تقوم به إسرائيل ضد المدنيين اللبنانيين، بعدم جدوي المراهنة علي أي مبادرات دولية لحل النزاع في الشرق الأوسط، طالما ظل الموقف الإسرائيلي هو المسيطر علي وجهات نظر المجتمع الدولي. وكان فشل مجلس الأمن في إصدار قرار بوقف إطلاق النار بين الجانبين اللبناني والإسرائيلي، دليلاً دامغاً علي افتقاد المنظمة الدولية 'الأمم المتحدة' لأهم وظائفها الأساسية التي أنشئت لأجلها وهي

ما بعد حرب لبنان

تحالفات جديدة وأخرى متجددة

بغض النظر عما ستسفر عنه حرب تكسير العظام التي تشنها إسرائيل ضد لبنان بأكمله وليس ضد حزب اله فقط، المؤكد أن الوضع بعد انتهاء هذه الحرب سيختلف كثيراً عما كان عليه قبلها، ليس على الجبهة اللبنانية الجنوبية وحسب، لكن أيضاً على صعيد الداخل اللبناني من جهة، وعلى صعيد التوازن الإقليمي في المنطقة من جهة أخرى.

من هنا، على المراقب ألا يقف عند حدود استقراء ما ستؤول إليه الأزمة الراهنة، وإنما عليه أن يبحث فيما وراء الأزمة وما بعدها من تداعيات ونتائج ربما لا يظهر بعضها قريباً لكن على المديين المتوسط والبعيد.

بيد أن هذا يستلزم بدوره الوقوف على ما كشفت عنه الأزمة الراهنة من دلالات ومعان لجهة التحالفات والتفاعلات الجارية بين أطرافها. وما يعنينا ليس ما بين الأطراف المتصارعة، فالصورة بينها واضحة إلى حد كبير، فعلى سبيل المثال من السهولة بمكان الحديث عن أهداف وتوقعات كل من إسرائيل وحزب الله وطريقة إدارتهما للأزمة ورؤية كل طرف منهما للآخر. إلا أن الأهم هو العلاقات والتفاعلات الجارية بين الأطراف المتعاونة أو التي يمكن الحديث عن صفقات وتحالفات بينها سواء مثل تلك القائمة من قبل، كما هو حال سوريا وإيران، أو تلك التي ربما تكون قد استجدت أو أعيد إحياؤها كما بين إيران وبعض الفصائل الفلسطينية، أو بين تلك الأخيرة وسوريا.

من أبرز ما كشفت عنه الأزمة أو بالأحرى الحرب الدائرة، أن المحاور والتحالفات التي أبرمتها إيران في أوقات سابقة ولم تنعكس كثيراً في علاقاتها أو سياساتها الإقليمية بشكل واضح، تلك التحالفات لم تنته ولم تكن طهران قد تخلت عنها أو ألغتها، وكل ما في الأمر أن ثمة توقيتات مناسبة لكل خطوة وثمة مراحل ملائمة لتفعيل خطوط معينة ربما كانت مجمدة أو معلقة لفترات طويلة. والأمر ينطبق هنا بوضوح على علاقات إيران ببعض الفصائل الفلسطينية التي كانت طهران قد خففت روابطها معها في الأعوام الأخيرة خصوصاً منذ نشوب أزمة الملف النووي الإيراني، باستثناء الدعم المالي الذي أعلنت إيران عن تقديمه لحكومة حماس مؤخراً. بيد أن أزمة اختطاف الجندي الإسرائيلي في فلسطين كشفت عن تنسيق عالي المستوى بين طهران والفصائل الفلسطينية. وهو ما ينطبق أيضاً على العلاقة بين سوريا وتلك الفصائل، فمعروف أن دمشق رفعت أيديها إلى حد بعيد عن دعم واستضافة الفصائل الفلسطينية العشر التي لا تزال تتبنى منهج الكفاح المسلح ضد الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، بل أعلنت سوريا غير مرة أن بعض المكاتب التمثيلية لتلك الفصائل في دمشق لم تعد سوى مكاتب شكلية ولا تعكس علاقات أو روابط فعلية بين الجانبين، وذلك في سياق إدارة سوريا للعلاقة مع الولايات المتحدة ومواجهة الضغوط التي مارستها إدارة بوش ضد دمشق في الأعوام الثلاثة الأخيرة.

في مستوى آخر، كشفت التطورات المتلاحقة في الأزمة بين حزب الله وإسرائيل، أن بعض التحالفات التي تمت داخل لبنان تجاوزت التوقعات، والمقصود هنا على وجه الخصوص التحالف الذي أعلن قبل ستة أشهر تقريباً بين حزب الله والتيار الوطني الحر بقيادة ميشيل عون، فذلك التحالف الذي أعلن عنه في وثيقة مكتوبة وقعت في ٦ فبراير الماضي، قوبل بتوقعات من مراقبين وساسة لبنانيين بأنه لن يستمر وأنه تحالف تكتيكي مرحلي سرعان ما ينهار أو يتقوض تحت وطأة التباينات العقيدية والاختلافات السياسية الإستراتيجية بين الجانبين. وجاءت الأزمة الأخيرة لتكشف عن مدى قوة وعمق هذا التحالف وتعكس بصورة واضحة -بل ربما مفاجئة- أنه كان خطوة مدروسة ولم يكن مجرد تكتيك أو صفقة مرحلية جزئية.

هذا فيما يتصل بما كشفت عنه الأزمة من تحالفات قائمة أو أعيد إحياؤها، غير أن هناك تبدلات وتحولات في بعض التحالفات التي كانت قائمة، فعلى المستوى اللبناني الداخلي تعرض ما سمي بتحالف قوى ١٤ مارس إلى ضربة قاصمة من خلال الأزمة الراهنة وطريقة إدارتها، فمن ناحية لم يكن للفصيل الرئيس في التحالف (تيار الحريري) التأثير الطاغي والحضور الفعال المؤثر بل الحاسم أحياناً كما كان الحال قبل غياب رفيق الحريري عن الساحة. الأمر الذي سيؤثر لا شك على ثقل ودور تيار الحريري ليس في الداخل اللبناني وحسب، بل أيضاً على المستوى الخارجي وتحديداً في النطاق العربي خصوصاً أن الحريري الابن قام بجولة عربية عاجلة فور مبادرة إسرائيل بالتصعيد ضد حزب الله ولبنان، ولم تسفر الجولة عن نتائج تذكر، ورغم أن هذا الإخفاق ربما يعود في جانب مهم منه للجانب العربي والقيود المفروضة عليه في التعاطي مع الأزمة، لكن في النهاية يُحسب على الحريري الابن أن جولته لم تحقق الهدف المطلوب، وهو ما ينطبق بدوره على الدولة اللبنانية أو بشكل أكثر تحديداً الحكومة اللبنانية التي جاءت مواقفها مخيبة لآمال كثير من اللبنانيين والعرب، ولم تكتف بإنكار علمها بالعملية التي قام بها حزب الله، والتنصل منها، بل أكدت هذا التنصل أكثر من مرة ثم عاد السنيورة من واشنطن دون نتائج تذكر عدا حصوله على وعد من بوش 'ببذل جهد لحث إسرائيل على محاولة تجنب إنزال أضرار بالغة بالمدنيين'!

على جانب آخر، من شأن الحرب الدائرة حالياً من جانب إسرائيل ضد كل ما هو لبناني، أن تعيد تشكيل وترتيب التحالفات العربية، فبعد أن كان المثلث المصري-السعودي-السوري هو مثلث القوة الرئيس والأكثر محورية في النظام العربي، فإن مرحلة ما بعد الأزمة ستدشن تحالفاً جديداً يدخل فيه الأردن ضلعاً ثالثاً بدلاً من سوريا. واقع الحال أن الخروج السوري من ثلث القوة العربي ليس وليد الأزمة الراهنة، بل بدأ هذا الخروج فعلياً قبل ثلاث سنوات تقريباً مع انفراد دمشق وإصرارها على قرار التمديد للرئيس اللبناني إميل لحود، وما صاحب هذه الخطوة من تداعيات وسلبيات على التعامل الدولي مع سوريا وصدور القرار ١٥٥٩. ثم جاءت عملية اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الراحل رفيق الحريري ضربة قاصمة للدور السوري في لبنان ولمدى القبول والتوافق التي تحظى بها السياسة السورية ليس تجاه لبنان وحسب، بل أيضاً تجاه ملفات أخرى عربية وإقليمية. وساهم في مزيد من التراجع لدور دمشق الإقليمي توالي الاختلافات في مواقفها عن مواقف عربية أخرى فيما يتصل بالملفات المهمة عربياً خصوصاً ملف إدارة الصراع مع إسرائيل بمختلف مساراته، والموقف العربي من تطورات الاحتلال الأمريكي للعراق والوضع الداخلي هناك. وهي الاختلافات التي تجسدت بوضوح في المحافل العربية بصفة خاصة مثل القمم والمؤتمرات الوزارية العربية. وقد مثلت هذه الخبرة السابقة على الصدام الأخير بين إسرائيل وحزب الله، مثلت بيئة مواتية لاستكمال استبعاد سوريا من مثلث القوة العربي ودخول الأردن مكانها في المقابل، يبدو التحالف الإيراني- السوري مرشحاً بقوة للتفعيل بل ربما مزيد من التطوير في أبعاده، وتجدر الإشارة هنا إلى ما حدث بشأن الجندي الإسرائيلي المخطوف في فلسطين، حيث أخفقت جهود التوصل لصفقة للإفراج عنه مقابل إطلاق أسرى فلسطينيين، بعد أن كانت تلك الجهود قد اكتملت ووافقت حركة حماس بالفعل على إتمامها. ثم مبادرة حزب الله للدخول على خط الأزمة وفتح جبهة أخرى ضد إسرائيل بخطف جنديين آخرين. فمن الصعوبة بمكان عدم الربط بين إفشال الصفقة مع الفلسطينيين وتفجير الموقف من جانب حزب الله. الأمر الذي لم يكن ليتم دون تنسيق عالي المستوى وربما تنسيق مسبق بين طهران ودمشق. كما ينبغي هنا تذكر الخطوة التي قامت بها الدولتان قبل شهرين وهي تطوير التعاون العسكري والاستراتيجي بينهما، فيما بدا رسالة واضحة لكافة الأطراف بأن انحسار التحالف بينهما ليس وارداً وأن انشغال إيران بالملف النووي، وانهماك سوريا في مواجهة أعباء علاقتها مع لبنان، لا يعنيان بالمرة تراجع البعد الثنائي في العلاقات. بل جاءت التطورات الأخيرة لتؤكد أن العكس هو الصحيح وأن المحور الإيراني- السوري لم يأفل.

نحن إذن أمام مجموعة من التحالفات والمحاور الجديدة في المنطقة، بعضها إقليمي بين دول، وبعضها داخلي بين قوى وتيارات داخل لبنان تحديداً. كما أننا أمام تحالفات ومحاور أخرى متجددة تجد مغذياتها في التطورات الجارية، ومن غير المعلوم حتى الآن، ما إذا كانت تلك المحاور الجديدة والمتجددة ستعيد تشكيل الخريطة الإقليمية للمنطقة، أم أن تلك المحاور والتحالفات هي المرشحة للتغير مع تغير المعطيات وتبدل الأوضاع.

سامح راشد

أميركا والحرب على لبنان

نحو الاستفادة من دروس

شكلت الزيارة التي قامت بها وزيرة الخارجية الأميركية كوندليزا رايس إلى كل من لبنان وإسرائيل، ثم إيطاليا مثالاً مميزاً على الشجاعة والسرعة التي تتسم بها الدبلوماسية الأميركية، لكنها مع الأسف ورغم جهودها الحثيثة أغفلت الأهم وابتعدت عن الملح والمستعجل في اجتماع روما. وقد بدت خيبة الأمل تحديداً عندما قاومت "رايس" الاقتراحات التي تضع المفاوضات في نصابها الصحيح وتحدد الأولويات المعقولة المتمثلة في الاتفاق على وقف فوري لإطلاق النار بين الأطراف المتحاربة. فطيلة فترة زيارتها إلى الدول الثلاث أصرت كوندليزا رايس في أكثر من مناسبة على أن وقف إطلاق النار لن يتم إلا إذا صاحبته رؤية واضحة ومستدامة حول الحل الذي يعالج النزاع من جذوره، ويضمن عدم تجدد المواجهات الدامية مرة أخرى في جنوب لبنان. لكن يبدو أن "رايس" نسيت بأن حلاً مماثلاً لن يتأتى من دون مشاركة الأطراف جميعاً في مفاوضات طويلة تخرج باتفاق شامل لإنهاء الاقتتال، في الوقت الذي سيستمر فيه سقوط المدنيين الأبرياء، وتدمير البنية التحتية، فضلاً عن استمرار تآكل الديمقراطية الهشة في لبنان.

واستناداً إلى تجربتي الشخصية في الشرق الأوسط يمكني القول بأنه علينا التركيز في المدى القصير على وقف إطلاق النار وإنهاء الحرب. فقد واجهت أزمات مشابهة مرتين خلال الأربع سنوات التي قضيتها كوزير خارجية الولايات المتحدة. وفي كلتا المرتين كانت إسرائيل تبادر بطلب الوساطة الأميركية لوضع حد للاقتتال بين الأطراف المتنازعة. كانت المرة الأولى في ١٩٩٣ عندما ردت إسرائيل على إطلاق "حزب الله" لصواريخه على حدودها الشمالية بشن عملية المحاسبة التي أسفرت عن نزوح ٢٥٠ ألف مدني من جنوب لبنان. وبعدما استمر القصف الإسرائيلي لعدة أيام طلب مني رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين استخدام اتصالاتي مع سوريا لإنهاء المواجهات. وفعلاً اتصلت بوزير الخارجية السوري آنذاك فاروق الشرع الذي أطلع الرئيس حافظ الأسد بالطلب الإسرائيلي، حيث تم في الأخير التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار بعد أيام من المفاوضات جمعت بين الأطراف المعنية التزم فيه الجميع بوقف استهداف المدنيين على الجانبين. ورغم أننا لم نعرف قط ما فعلته سوريا على وجه التحديد، لكن المهم أن "حزب الله" سمع كلامها وأوقف إطلاق الصواريخ.

وجاءت المرة الثانية عندما أطلق "حزب الله" مرة أخرى الصواريخ على شمال إسرائيل فردت هذه الأخيرة بشن عملية عناقيد الغضب متسببة في نزوح ٤٠٠ ألف لبناني من ديارهم. وانتهت العملية بمأساة عندما قصفت الطائرات الإسرائيلية، عام ١٩٩٦ مخيماً للاجئين في قانا بجنوب لبنان أدى إلى مقتل مائة مدني وإثارة غضب الرأي العام الدولي ضد إسرائيل. وفي هذا المرة كذلك طلب مني رئيس الوزراء شمعون بيريز الذي خلف رابين بعد اغتياله التدخل لوقف المواجهات، حيث انخرطت الدبلوماسية الأميركية في جولات مكوكية بين دمشق وبيروت والقدس دامت ثمانية أيام وانتهت بالتوصل إلى اتفاق ينهي أعمال العنف من كلا الجانبين. وبعد أسابيع قليلة من ذلك التاريخ تمكنت الأطراف المعنية من إبرام اتفاق يقضي بتشكيل قوة لمراقبة الحدود تشمل إسرائيل وفرنسا ولبنان والولايات المتحدة. وإلى غاية الثلاثة أسابيع الماضية صمد الاتفاق طيلة العشر سنوات الماضية ونجح في منع اندلاع المواجهات مرة أخرى.

فما الدروس التي نستخلصها من تلك التجارب السابقة؟ أولاً علينا أن نعرف بأنه كما كان الحال عليه سنة ١٩٩٦ لا بد من أن يتصدر اتفاق وقف إطلاق النار أية جهود دبلوماسية أخرى تصاحبه مفاوضات بين الأطراف المعنية حول ترتيبات الوضع المقبل للمنطقة. وبالطبع سيكون وقف إطلاق النار صعبا دون تضمين المفاوضات ما يشير إلى وجود رغبة في إقرار حل دائم للأزمة المندلعة حالياً بين لبنان وإسرائيل. الدرس الثاني الذي نستخلصه من التجارب السابقة في المنطقة ويتعين على الدبلوماسية الأميركية الأخذ به هو الدور الأميركي المحوري في التوسط بين الأطراف المتحاربة والتوصل إلى اتفاق مرضٍ للجميع. فقد لجأ رؤساء الوزراء الذين تعاقبوا على إسرائيل إلى الولايات المتحدة دون سواها عندما أدركوا بأن الرد على "حزب الله" بدأ يؤتي نتائج عكسية. وواضح أن إسرائيل لا تثق سوى في الولايات المتحدة للتفاوض نيابة عنها والتوصل إلى اتفاق يراعي مصالحها. يضاف إلى ذلك أنه من خلال تجربتي السابقة في إحلال السلام بمنطقة البلقان، لا أرجح أن يقبل الأوروبيون بإرسال جنودهم ضمن قوات دولية لحفظ السلام في جنوب لبنان من دون مشاركة القوات الأميركية.

وارين كروستوفر*

وزير الخارجية الأميركي الأسبق

وأخيرا علينا ألا ننسى الدور السوري في أي اتفاق لوقف إطلاق النار كما كان عليه الحال سنتي ١٩٩٣ و١٩٩٦ فرغم انسحاب القوات السورية من لبنان وانحسار تأثيرها على "حزب الله"، فإن سوريا مازالت تمثل الطريق الرئيسي الذي تمر منه خطوط الإمدادات لـ"حزب الله"، كما أن العديد من زعماء "حزب الله" يعيشون في دمشق ما يجعل سوريا الدولة الأكثر تأثيراً على الحزب بعد إيران. وفي هذا الإطار علينا استغلال الدعوة التي وجهتها دمشق إلى الولايات المتحدة للتفاوض كي نفتح المواضيع العالقة ونستأنف العلاقات الدبلوماسية التي قطعت بين الجانبين منذ أكثر من سنة. وليس أفضل من الجلوس إلى طاولة المفاوضات بين سوريا والولايات المتحدة إلى جانب الأطراف الأخرى، ذلك أنه كما في حالتي إيران وكوريا الشمالية لن يؤدي رفض التفاوض مع سوريا سوى إلى مزيد من الإحباط والفشل.

عن / صحيفة ((واشنطن بوست)) الاميركية